

تفسير البحر المحيط

@ 389 بشر على سبيل التهكم بهم نحو قوله : { فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } أي القائم لهم مقام البشارة ، هو الإخبار بالعذاب كما قال : { تَحْيِيَّةٌ * بَيِّنَةٌ لَهُمْ * ضُرْبٌ } . وقال ابن عطية : جاءت البشارة هنا مصرحاً بفيدها ، فلذلك حسن استعمالها في المكروه . ومتى جاءت مطلقة وإنما عرفها في المحبوب . وفي هذه الآية دليل على أن التي قبلها إنما هي في المنافقين . وقال الماتريدي : بشر المنافقين يدل على أن قوله : { خَبِيرًا يَأَيُّهُمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامَنُوا } في أهل النفاق والمراءاة ، لأنه لم يسبق ذكر للمنافقين سوى هذه الآية . ويحتمل أن يكون ابتداء من غير تقدم ذكر المنافقين . .

{ الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكُفَّارِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } أي : اليهود والنصارى ومشركي العرب وأولياء أنصاراً ومعينين يوالونهم على الرسول والمؤمنين ، ونص من صفات المنافقين على أشدها ضرراً على المؤمنين وهي : موالاتهم الكفار ، واطراحهم المؤمنين ، ونبه على فساد ذلك ليدعه من عسى أن يقع في نوع منه من المؤمنين غفلة أو جهالة أو مسامحة . والذين : نعت للمنافقين ، أو نصب على الذم ، أو رفع على خبر المبتدأ . أي : هم الذين . .

{ أَلَيْدَتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ } أي : الغلبة والشدة والمنعة بموالاتهم ، وقول بعضهم لبعض : لا يتم أمر محمد . وفي هذا الاستفهام تنبيه على أنهم لا عزة لهم فكيف تبتغي منهم ؟ وعلى خبث مقصدهم . وهو طلب العزة بالكفار والاستكثار بهم . .

{ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا } أي لأولياته الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم . قال تعالى : { كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنْزَاةً وَرَسُولِي إِنْ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } . وقال : { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ } . وقال تعالى : { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا } والفاء في فإن العزة دخلت لما في الكلام من معنى الشرط ، والمعنى : أن تبتغوا العزة من هؤلاء فإن العزة ، وانتصب جميعاً على الحال . .

{ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا } الخطاب لمن أظهر الإيمان من مخلص ومنافق . وقيل : للمنافقين الذين تقدّم ذكرهم ، ويكون

التفاتا . وكانوا يجلسون إلى أحبار اليهود وهم يخوضون في القرآن يسمعون منهم ، فنهوا عن ذلك ، وذكروا بما نزل عليهم بمكة من قوله : { وَإِذْ أَرْأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ° حَتَّىٰ يَخُوضُوا ° فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ . . }

وقرأ الجمهور : وقد نزل مشدداً مبنياً للمفعول . وقرأ عاصم : نزل مشدداً مبنياً للفاعل . وقرأ أبو حيوه وحميد : نزل مخففاً مبنياً للفاعل . وقرأ النخعي : أنزل بالهمزة مبنياً للمفعول ، ومحل أن رفع أو نصب على حسب العامل ، فنصب على قراءة عاصم ، ورفع على الفاعل على قراءة أبي حيوه وحميد ، وعلى المفعول الذي لم يسم فاعله على قراءة الباقيين . وإن° هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف وتقديره : ذلك أنه إذا سمعتم . وما قدره أبو البقاء من قوله : أنكم إذا سمعتم ، ليس بجيد ، لأنها إذا خفت إن° لم تعمل في ضمير إلا إذا كان ضمير أمر ، وشأن محذوف ، وإعمالها في غيره ضرورة نحو قوله : % (فلو أنك في يوم الرخاء سألتني % .

طلاقك لم أبخل وأنت صديق .
%) .

وخبر إن° هي الجملة من إذا وجوابها . ومثال وقوع جملة الشرط خبراً لأن° المخففة من الثقيلة قول الشاعر : % (فعلمت أن من تتقوه فإنه % .
جزر لخامعة وفرخ عقاب .
%)